تشكل الموضوعات في الدراسات الأدبية عموما،مجالا معرفيا له حدوده المنهجية وعدته الاصطلاحية وأعلامه،إذ لا يمكننا أن نتحدث عن هكذا مجال دون أن نذكر"غاستون باشلار"و"جورج بوليه"و"جون بيار ريشار"وغيرهم من الأعلام الذين طوروا الدراسات الموضوعاتية مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين،هذا والاهتمام والتحول صوب المنهجية الموضوعاتية جعل المقارنين ينتبهون إلى مدى أهمية الموضوعات في الأدب المقارن،بعد تحفظ الجيل الأول من المقارنين وصمتهم إزاء الموضوعات،فقد أصدر"ريمون تروسون"مقالة بعنوان"دفاع عن تاريخ الموضوعات"في مجلة الأدب المقارن سنة"1964"/العدد11[1]،وبعد هذه المرحلة توالت الدراسات المقارنة التي تدرج الموضوعات في صلب اهتماماتها البحثية.

2.دراسة الموضوعات:

تكون الموضوعات أفكارا وتصورات في أذهان الكتاب لا يلبث أن يمنحها الأدب شكلا يمكن دراسته،سواء في تتبع تحولاته عبر التاريخ أو في الكيفية البنيوية التي قدم بها،وفي الأدب المقارن لا يعتبر "الموضوع"ملكية فكرية للمقارنية عكس دراسات الصورولوجيا[2]،وقد أثار نقاشات اصطلاحية ومنهجية متعددة ربما أبرزها الخلط بين الموضوعات ودراسة الميثات في الأدب المقارن(انظر محاضرة الأسطورة) وكذا تعدد المقاربات التي تعتبر الموضوع جزء في تخصصها ،فقد تتنازع حول الموضوع المناهج النصية و ما وراء النصية،ويعتبره مؤرخو الأفكار من صميم دراساتهم،علاوة على أن تحديد تعريف جامع ومناع للموضوعات في الأدب المقارن غير متاح ولا ميسور،إذ هل يمكن أن نعرف الموضوعات من خلال تصنيفها؟كأن نقول موضوعات تاريخية،موضوعات عالمية(الحرب،المدينة،الطفولة،الوحدة،الانتحار)وموضوعات اجتماعية ومهنية وغيرها[3]،وبهذه الطريقة يكون من الصعب جدا-إن لم يكن مستحيلا –احصاء هذه

[1]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص117.
[2]المرجع نفسه،ص117.
[3]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص118.

الموضوعات مع التحولات التي تلحقها بين الآداب في العالم،ويعتبر"باجو" أنه في مواجهة التصنيفات المختلفة نشرع في التفكير بالتصنيف ألفبائي للموضوعات [1] ،ربما قد يحول دون وقوع أخطاء أو نسيان وإغفال لكثير من الموضوعات ويجد أنه من المفيد كذلك في الأدب المقارن تسجيل الموضوعات العالمية من خلال الفروق التي تظهر عليها في تحولها بين الثقافات يقول:"**يبدو جيدا أنه يُنظر إلى الموضوعات العالمية،وتفسر وتسجل بطريقة مختلفة من ثقافة إلى أخرى:الانتحار بالطريقة الأوروبية أو الانتحارات المتعددة بعد إصدار "فيرتر" مثلما علمنا أو الانتحار الياباني للكاتب "ميشيما"،تشكل مواقف انسانية أو ممارسات ثقافية مختلفة بشدة**"[2].

إن تسجيل الموضوعات العالمية من خلال قراءة السياق الثقافي وضبط الفروق كما يقدمها"باجو"عمل هام،ووسيلة لإعادة رسم التجمعات الأدبية التي تتجاوز الحدود اللغوية والتاريخية[3]،ويحصر"غويار"دراسات الموضوعات في الأدب العالمي في عدد من التصنيفات هي:[4]

- الموضوعات الفولكلورية:التي دائما ما أمدت الأدب بأثار كثيرة فهي الخزان للشخصيات(فاوست مثلا) والتقاليد والمواقف،وهذا ما يسميه "بيشو"بالعجائبية الفولكلورية[5].
- المواقف:المواضيع التي تنبنى على مواقف بتحديدها وجمعها ومقابلتها،على أن مقابلة المواقف ليست هي أساس الأدب المقارن وانما من المهم استخراج الفروقات الشخصية والوطنية في معالجة موقف واحد،مثال ذلك أنموذج"الزاني"أو "المجرم" رغما عنه وهو موقف عرفته التقاليد اليونانية مع "أوديب".

---

[1] المرجع نفسه،ص119.
[2] نفسه،ص119.
[3] نفسه،ص120.
[4] ماريو فرنسوا غويار،الأدب المقارن،تر:هنري زغيب،ص55،62.
[5] كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،ص224.

- نماذج عامة وشخصيات تاريخية،وهالات أدبية التي هي حصول كاتب على شهرة ورواج عالمي يجعل الأديب وموضوعاته حاضرة بقوة في الآداب المختلفة.

من الضروري جدا معرفة أن دراسة الموضوعات جزء من الأدب المقارن ولكنها ليست جزءا من دراسة المؤثرات؛ومعنى هذا أن المقارن في مجال الموضوعات لا يثير سؤال التأثير والتأثر ولا يحاول رصد هذه العلاقة من حيث أولوية المؤثر زمنيا على المتأثر ولا يجتهد في تحديد المصادر بحكم أن الموضوعات تعاقبت فيها فلا تستدعى البحث عن التأثير[1]،وربما غياب معادلة المؤثرات في دراسة الموضوعات هو ما أزهد الجيل الأول من المقارنين فيها حسب ما رأي الخاص.

3.الوباء موضوعا للأدب المقارن:

موضوع الوباء من الموضوعات الهامة التي تستأثر بالساحة العالمية في مراحل تاريخية معينة هذا ما نقف عليه اليوم مع فيروس "كورنا""COVID19"وما فرضه من تحولات اجتماعية رهيبة،وما أظهره من عيوب على مستوى المنظومات الصحية والاقتصادية العالمية،هذا الوباء بوصفه موضوعا في الأدب حتما وجد طريقه إلى أقلام الكتاب في نصوص مختلفة تراكم تجارب ويوميات الناس معه وما نتج عنه من قناعات وسلوكيات جديدة،وما قد يحدث تجاوزه من أفكار وقناعات كانت بالأمس راسخة،فتفاعل السياقات الثقافية المختلفة مع الوباء يُنتج نصوصا مختلفة حتما موضوعها الأساسي هو الوباء ومضمونها ومعالجاتها متعددة وحتى متناقضة بين الآداب في تنوعاتها الجغرافية والقومية.

في معرض حديثه عن الموضوعات في الأدب المقارن يقدم"هنري باجو"قراءة في موضوع الوباء في الأدب المقارن،مبرزا كيف يقارب المقارن موضوعا ما ويقدم مثالا بالوباء الذي يعتبره موضوعا حاضرا بصورة خاصة في الأدب يتوزع حول مجموعة قيم اجتماعية

[1]مناف منصور،مدخل إلى الأدب المقارن،سعيد عقل وبول فاليري،ص107.

وأخلاقية ودينية،وفي تناوله وجب أولا التفريق بين النصوص البرامج والنصوص المراجع؛فهو يعتبر أنه باستثناء النصوص الدينية(التوراة،الانجيل)وبعض النصوص التاريخية الأسطورية(قصة طاعون أثينا) بقية النصوص هي مراجع(الموت في صقلية)لـ"توماس مان"(الطاعون)لـ"ألبير كامو"و(يومية سنة الطاعون)لـ"دانييل دوفوي"وغيرها من النصوص[1] وهنا"باجو"يقوم بعملية احصائية لهذه النصوص التي تناولت الوباء،ثم يتحدث عن"قراءات فهرسية"إذ يجب أن يُكوّن المقارن لنفسه ملفا من القراءات في طب الوباء في عصره،وعلى الوباء بوصفه ظاهرة من خلال تتبع ما كتب عنها تاريخيا،ويعطى مثالا بكتاب"ولادة الطب التطبيقي"لـ"ميشيل فوكو"الذي يتناول مفهوم "العتبة الوبائية"والتي تُطرح فيها مشكلة الموت الجماعي،ويعتبر"باجو"أنه من المفيد تتبع هذا الأثر في الأدب يقول:"**تُبلغ العتبة الوبائية عندما لا يعود الأحياء قادرين أو عندما لا يعودون يريدون دفن موتاهم والاهتمام بهم تتوقف المشكلة عن أن تكون حسابية خالصة يأتي الوباء ويلغى طقس الموت ويصاب المجتمع في احدى قيمه الأساسية**"[2]

إذن"باجو"في تناوله للوباء موضوعا في الأدب المقارن،تتبع مجموعة خطوات بداية من التفريق بين النصوص البرامج والمراجع،مرورا بعملية احصائية لنصوص الوباء،ثم الحديث عن قراءات فهرسية والتي تعطى للمقارن خلفية معرفية متعددة بالوباء،ومن ثم المقارنة بين النصوص واستخلاص الفروق في النظر للوباء وتحديد التجميعة الأدبية الوبائية بوصفها موضوعا في الأدب المقارن.

4.الموضوعات عربيا:

[1] دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص126.
[2] المرجع نفسه،ص127.

يمكن اعتبار كتاب"في الأدب المقارن ومقالات أخرى"للكاتب المصري"فخري أبو السعود"كتابا تناول الموضوعات في الأدب المقارن في مرحلة زمنية متقدمة-النصف الأول من القرن العشرين-على ظهور الكتابات العربية الأولى في الأدب المقارن،هذا الكتاب الذي كان عبارة عن مقالات منشورة في مجلات ثقافية عربية هامة أبرزها"مجلةالرسالة"وقد تناول فيها مقارنات بين الموضوعات في الأدب العربي والانجليزي،ولم تحض بالرواج الواسع ذلك أن حقل الموضوعات في الأدب المقارن كان مستبعدا عند الجيل الأول من المقارنين غربيا وعربيا،خصوصا ذوي المرجعية الفرنسية،وبحكم أن"فخري أبو السعود"كان ذا ثقافة انجلوسكسونية انتبه إلى أهمية المقارنة بين الموضوعات في الأدب وإن لم تتسم مقارناته بضوابط منهجية واضحة ودقيقة،لكنه قدّم جهودا معتبرة في هذا المجال،فقد عقد مقارنات بين موضوعات متعددة نذكر منها:الفكاهة،الطبيعة،أثر الدين،الخرافة،شخصيات الأدباء،نظام الحكم،الأدب العامي،الانسان،البطولة،الحرب،الحكمة،وكانت هذه المقارنات بين الأدب العربي والأدب الانجليزي يقول في مقال له تحت عنوان:"موضوعات الأدب في الأدبين العربي والانجليزي""**على أن موضوعات الأدب وان تعذر استقصاؤها،يتجمع أكبرها وأخطرها شأنا حول مواضيع رئيسية يكثر طرقها ويعزى إلى واحد منها كل اثر من آثار رجال الأدب،كالنسيب والرثاء مثلا،كما أن أدبا قد يختلف عن أدب في فن يحتفى به ولا يكاد يوجد في غيره أو فنون يدمن طرقها دون غيرها بل يختلف الأدب الواحد في عصر من عصوره عنه في عصر أخر من حيث فنون القول التي يحتفى بها و يقدمها على غيرها...والأدبان العربي والانجليزي قد تناولا أشتاتا من فنون القول وعبرا عما لا يحصى من أفكار الانسان ومشاعره واتفقا في كثير من ذلك لاتفاق الطبيعة الانسانية في**

كل مكان واختلفا في مدى الاحتفال ببعض الفنون والأغراض عن بعضهما لاختلاف بيئات الانسان من إقليم إلى أخر" [1].

نقف في هذا النص على ما يمكن تسميته بالوعي المقارن عند الكاتب،هذا الوعي المتقدم زمنيا والذي و إن غابت فيه الحقيبة الاصطلاحية والعدة المنهجية للمقارن،قدّم تصورا ذكيا في المقارنة بين الموضوعات،فلم يتوقف عند البعد التاريخي للموضوعات بل تعداه إلى طرح الأبعاد البنيوية والشكلية في حديثه عن فنون القول في الأجناس الأدبية وما يناسبها ومالا يناسبها من موضوعات بين الأدبين.

خاتمة:

[1]فخري ابو السعود،في الأدب المقارن ومقالات أخرى،ص180،181.